

## أضواء البيان

@ 361 @ .

وقوله ( شيباً ) تمييز محول عن الفاعل في أظهر الأعراب . خلافاً لمن زعم أنه ما ناب عن المطلق من قوله ( واشتعل ) لأنه اشتعل بمعنى شاب ، فيكون ( شيباً ) مصدراً منه في المعنى ومن زعم أيضاً أنه مصدر منكر في موضع الحال . .

وهذا الذي ذكره □ هنا عن زكريا في دعائه من إظهار الضعف والكبر جاء في مواضع آخر . كقوله هنا : { وَقَدَّ بَلَاغَتْهُ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا } ، وقوله في ( آل عمران ) : { وَقَدَّ بَلَاغَتِي الْكِبَرُ } . وهذا الذي ذكره هنا من إظهار الضعف يدل على أنه ينبغي للداعي اظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } أي لم أكن بدعائي إياك شقياً ، أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك ، يعني أنك عودتني الإجابة فيما مضى . والعرب تقول : شقى بذلك إذا تعب فيه ولم يحصل مقصوده . وربما أطلقت الشقاء على التعب ، كقوله تعالى : { إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لِّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } وأكثر ما يستعمل في ضد السعادة . ولا شك أن إجابة الدعاء من السعادة ، فيكون عدم إجابته من الشقاء . .

وقوله تعالى عن زكريا : { وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا } وأكثر ما يستعمل في ضد السعادة . ولا شك أن إجابة الدعاء من السعادة ، فيكون عدم إجابته من الشقاء . .

معنى قوله : { خِفْتُ الْمَوَالِيَ } أي خفت أقاربي وبني عمي وعصيتي : أن يضيعوا الدين بعدي ، ولا يقوموا بدينه حق القيام ، فأرزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام . وبهذا التفسير تعلم أن معنى قومه ( يرثني ) أنه يرث وعلم ونبوة ، ودعوة إلى □ والقيام بدينه ، لا يرث مال . ويدل لذلك أمران : .

أحدهما قوله { وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان ، فلا يرث عنهم إلا العلم والنبوة والدين . .

والأمر الثاني ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء صلوات □ وسلامه عليهم لا يرث عنهم المال ، وإنما يرث عنهم العلم والدين . فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحهما عن أبي بكر الصديق رضي □ عنه ، عنه صلى □ عليه وسلم أنه قال : ( لا نورث ، ما تركنا صدقه ) . ومن ذلك أيضاً ما رواه الشيخان أيضاً عن عمر رضي □ عنه أنه قال لعثمان ، وعبد الرحمن

بن عوف ، والزبير وسعد ، وعلي ، والعباس ، رضي الله عنهم : أنشدكم الله